مواقف المفسرين من المعرَّب
في القرآن الكريم

د. أبو بكر علي الصديق
قسم الدراسات الإسلامية والعربية
كلية التربية و العلوم الأساسية
جامعة عجمان للعلوم و التكنولوجيا

ملخص البحث :

اختار الله تعالى اللغة العربية لتكون هي اللغة في مخاطبة عباده ، ووعاء لكتابه الخالد ، وكلامه الخاتم ، وفي ذلك الاختيار دليل على عظمة تلك اللغة ، قال تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ .

و هذا التصريح الذي ورد في القرآن الكريم بكونه نزل عربياً على رسول الله صلى الله عليه و سلم دفعني إلى مراجعة كل الآيات التي تحدثت عن عروبة القرآن الكريم. فإذا كان القرآن الكريم قد اشتمل على أفصح لغات العرب فهل وردت فيه ألفاظ غير عربية ؟ وللإجابة عن هذا السؤال ، كان هذا البحث الذي تتبعت فيه أراء العلماء عامة والمفسرين خاصة وقد انتهيت إلى عدة نتائج منها : أن وجود المعرب في القرآن الكريم لا ينقص من بلاغة القرآن وإعجازه ، لأن العرب تداولوا تلك الألفاظ وأخضعوها لمقاييس كلامهم قبل نزول القرآن بها ، وما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم .

إن اشتمال القرآن على لغات أخرى غير العربية يدل دلالة واضحة على عالمية القرآن لاشتماله على لغات كثيرة لأمم عديدة بخلاف الكتب السماوية السابقة التي خصت بأقوامها.أن معظم العلماء من اللغويين قالوا بوجود المعرب في القرآن الكريم انطلاقاً من تعمقهم في اللغة وتطورها بخلاف الفقهاء الذين رفض معظمهم فكرة وجود المعرب في القرآن الكريم اعتماداً على ما فهموه من قوله تعالى: ﴿ إنا أنزلناه قرآناً عربياً ...﴾ أما المفسرون فمنهم من رفض وجود المعرب في القرآن الكريم اعتماداً في نظرتهم على تنزيه القرآن ولغته التي تعتبر من أوسع اللغات وأقدمها ، و أن ما قيل فيه إنه معرب إنما هو من قبيل المشترك بين اللغات ، إلا بعض أسماء الأعلام ، فإنه لا خلاف بين العلماء في كونها أعجمية . إما معظم المفسرين فذهبوا إلى القول بوجود المعرب في القرآن الكريم انطلاقاً من كون تلك المعربات دخلت إلى لغة العرب وعربت قبل نزول القرآن الكريم بها.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ،الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، الذي أوتي جوامع الكلم، وخصّه الله بمعجزة القرآن، وتحدّى العرب أن يأتوا بمثله فعجزوا عن ذلك الإتيان، فكان عجزهم دليلاً على أنه من عند الله رب العالمين. وبعد :

فقد اختار الله تعالى اللغة العربية لتكون هي اللغة في مخاطبة عباده ، ووعاء لكتابه الخالد، وكلامه الخاتم، وفي ذلك الاختيار دليل على عظمة تلك اللغة ، وتلك مفخرة للأمة العربية التي حفظ الله لسانها من الزوال بحفظ القرآن الكريم ، قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [1]، وقال تعالى أيضاً : ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [2] .

و هذا التصريح الذي ورد في القرآن الكريم بكونه نزل عربياً على رسول الله صلى الله عليه و سلم دفعني إلى مراجعة كل الآيات التي تحدثت عن عروبة القرآن الكريم، فوقفت على منهج معجز يتلخص في عنصر الانتقاء والاقتباس للأفصح والأبلغ من لغات العرب ، حيث كانت العرب تلتقي في مواسمها ، فيتعرّف بعضها على لغات بعض ، وقد يقتبس منها ما يروقه ويعجبه منها ، خاصة في مواسم الحج التي تخللتها الأسواق الأدبية الثلاثة المشهورة في حياة العرب ، حيث يتبارى فيها الشعراء والخطباء والحكماء ويُحكّمون ذلك النتاج الأدبي كما حصل ذلك في القصائد الشعرية الرائعة المسماة بالمعلقات. وكانت قريش أجود

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠ .

(٢) سورة فصلت ، الآية : ٢ .

انتقاء لأفصح الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأقواها إبانة عما يختلج في النفس من مشاعر وأحاسيس ، قال الفرّاء : " كان العرب تحضر الموسم في كل عام وتحج البيت في الجاهلية، وقريش يسمعون لغات العرب ، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به ، فصاروا أفصح العرب، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات و مستقبح الألفاظ " (١) .

وهذا يمثل إعداداً خاصاً لتلك القبيلة للقيام بدور بارز في التاريخ ، يتلخص في خروج النبوة الخاتمة فيها ، حيث ابتعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم رسولا من خيار العرب ، و نزل القرآن بهذا اللسان ليكون بيانه معجزاً للعرب إلى قيام الساعة .

وإذا كان القرآن الكريم قد اشتمل على أفصح لغات العرب ، فهل وردت فيه ألفاظ غير عربية ؟

للإجابة عن هذا السؤال ، وجدتني مدفوعاً إلى البحث في هذا الموضوع ، متقصياً آراء العلماء عامة والمفسرين خاصة في هذه المسألة ، مشاركة مني في خدمة القرآن الكريم .

لهذا كله اخترت بحث **(مواقف المفسرين من المعرَّب في القرآن الكريم)** .

وأرى من الضروري في هذه المقدمة ، قبل استعراض آراء العلماء في موضوع المعرب ، أن أذكر أقوالهم في تعريفه . ومن تلك التعريفات ما يأتي :

١ - عرفه الجوهري : " تعريب الاسم الأعجمي : أن تتفوه به العرب على منهاجها نقول : عرَّبته العرب ، وأعربته أيضاً " (٢) .

---

(١) الخصائص لابن جنّي ٢/١١- ١٢ ، و المزهر في علوم اللغة و أنواعها للسيوطي ١/٢١١- ٢٢١.

(٢) الصحاح للجوهري ، مادة (عرب) .

٢ - وقال السيوطي فقال : " هو ما استعمله العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها " [١] .

٣ - وعرفه الدكتور عبد الواحد وافي بأنه :" ما استعمله العرب الفصحاء من الألفاظ الموضوعة في غير لغتها " [٢] .

فهذه التعريفات قدمت لنا مفهوم المعرَّب بشكل واضح ، حيث حصرته في الألفاظ التي استخدمها العرب من غير لغتهم ، فهل وقع في القرآن مثل تلك الألفاظ المعربة ؟

لدراسة الموضوع ، جعلت خطة البحث في مقدمة و ثلاثة مباحث .

أما **المقدمة** ، فقد بينت فيها سبب اختيار هذا البحث وأهميته .

و أما **المبحث الأول** ، فإنه يتعلق بدراسة الأسباب التي أدت إلى تأثير اللغة العربية وتأثرها بغيرها من اللغات التي جاورتها .

وأما **المبحث الثاني** ، فإنه يتناول آراء العلماء - خاصة علماء اللغة وعلماء القرآن والفقهاء - في موضوع وجود المُعرَّب في القرآن الكريم بصفة عامة .

وأما **المبحث الثالث** ، ففيه عرض لآراء المفسرين في وجود المُعرَّب في القرآن الكريم .

ثم ذيلته بخاتمة ، وفهرس للمصادر و المراجع .

* * *

(١) المزهر للسيوطي ١/ ٢٦٨ .

(٢) فقه اللغة ، د. علي عبد الواحد وافي ، ص : ٢٠٥ .

المبحث الأول : اللغة العربية واللغات المجاورة لها :

من البدهيات التي قررها علماء الاجتماع أن الإنسان مدنيّ بطبعه ، لا يعيش بمفرده، ولذلك غلب الطابع الاجتماعي على معيشة الإنسان فكوَّن القرى والمدن والمستعمرات البشرية ، وأسس الدول ، وشيّد الحضارات عبر تاريخه الطويل على سطح الأرض . وقد أثبت القرآن الكريم هذه الحقيقة عندما قرّر أن الله تعالى خلق البشر شعوباً وقبائل ، وبيّن أن هذا التنوّع سبب للتعارف والألفة ، ودافع للتأثر والتأثير بين الناس . قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [1] . ولا شك أن الشعوب المتجاورة لا يمكن أن تعيش بمعزلٍ بعضها عن بعض ، وكذلك اللغات لا يمكن أن تبقى بعيداً عن التأثر والتأثير مع وجود ظاهرة الاحتكاك ببقية اللغات المجاورة ، فهناك عوامل كثيرة تحتم مثل ذلك الاحتكاك ، وهي العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والمعرفية .

" ولاشك في أن المجتمعات الأكثر تحضراً وقوة ، تفرض تأثيرها - على نحو أو آخر - على المجتمعات الأقل تحضراً وقوة . وشيء شبيه بذلك يحدث بين اللغات فإن تأثير لغات الشعوب المتحضرة لاشك سيكون أقوى على لغات الشعوب الأقل منهم حضارة ، وقد خضع العرب - على نحو أو آخر - لتأثير الشعوب المجاورة لهم والذين كانوا أسبق منهم حضارة كالفرس والروم ، وقد خضعت لغتهم أيضا لتأثير اللغة الفارسية واليونانية واللاتينية " [2] .

---

(١) سورة الحجرات ، الآية : ١٣.

(٢) التعريب في القديم والحديث مع معاجم للألفاظ المعرّبة ، د. محمد حسن عبد العزيز، ص : ٩ .

و قد تأثر العرب بالروم عندما احتلَّ الرومان سورية وفلسطين سنة ١٠٥ م وقسماً مما بين النهرين ، وحين حاولوا أن يردوا بعض قبائل عرب الشمال إلى داخل البلاد ليأمنوا شرهم ويعاقبوهم على غزواتهم للمقاطعات العربية الرومانية وقد ظلت هذه العلاقات وثيقة العُرى حتى أواخر الفتح العربي لتلك الأقطار سنة ٦٧٥ تقريباً.

ومع أن بعض قياصرة القسطنطينية الذين كانت تخضع تلك الأقطار لسيطرتهم يتكلمون اليونانية ، فإن اللغة اللاتينية - في أغلب الأحيان- كانت لغة الحكم والإدارة، ومن ثمَّ كان العرب في تلك الأقطار مضطرين إلى اقتباس بعض مفرداتها التي كانت تدعوهم الحاجة إليها [١] .

وكذلك احتكَّ العرب باليونان منذ القرن الرابع قبل الميلاد حين فتح الإسكندر سورية وفلسطين ومصر وما بين النهرين ، والباحثون يقررون أن ما أخذته العربية في هذا الدور من اليونانية قليل بالقياس إلى ما أخذته من الفارسية ، ويذكرون من أسباب ذلك أن العرب قبل أن يحتكوا بالأمة اليونانية وآدابها كانوا قد احتكوا بالآراميين ، وأخذوا عنهم مئات من المفردات . ولذا ، يرجحون أن أكثر المفردات اليونانية التي في العربية موجودة في الآرامية أيضاً [٢] .

وأما اللغة الآرامية، فهي إحدى اللغات السامية التي تمركز أهلها في سهول سوريا وبوادي الشام ، وسيطروا على محطات القوافل الواقعة على خطوط التجارة البرّيّة القديمة ، ودور اللغة الآرامية في منطقة الشرق الأوسط أكثر أهمية من دور الآراميين، فقد انتشرت الآرامية انتشاراً واسعاً، وأصبحت لغة التجارة

(١) المفردات اللاتينية في اللغة العربية ، جوزي بندلي ، ص : ١٢٢٩ ، مجلة الهلال، مجلد ٣٦ .

(٢) بعض اصطلاحات يونانية في اللغة العربية ، ص : ٣٣٩- ٣٤٨ .

والدبلوماسية، بل إنها حلّت محل العبرية. وبعد فتوح الإسكندر الأكبر، احتفظت بمكانتها إلى جانب اليونانية ، وهي لهجات كثيرة ، أهمها : الآرامية والنبطية والسريانية.

وكانت اللغة الآرامية - على اختلاف لهجاتها- سائدة في كل بلاد فلسطين وسوريا وبين النهرين وفي بعض مناطق العراق .

وكان تجار مكة يتعاملون مع الآراميين في دمشق ، وكانت قوافل تجارتهم تجتاز جزيرة العرب وتنتقل بين أسواقها . وكانت الآرامية - بالإضافة إلى أهميتها في عالم السياسة والمال - لغة الدين اليهودى الذي اعتنقه بعض العرب، كما كانت أيضاً من أهم لغات النصرانية التي دان بها كثير من عرب الحيرة وغسان [1] .

وقد دخلت العربية كلماتٌ كثيرة من اللغة الآرامية خاصة في زمن الجاهلية وأوائل الإسلام وكذلك في العصر العباسي ، إذ كان للسريانية - وهي من لهجات الآرامية - دور في دراسة العلوم الفلسفية والطبيعة والطب [2] .

وكذلك تأثّر العرب بالحبشة من خلال قيام حضارتين متجاورتين ساميتين في الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية ، وهما : حضارة العرب وحضارة الحبشة .

" وقد اشتهرت اليمن قديماً بخيراتها وموقعها الممتاز على طرق المواصلات البرّيّة والبحرية القديمة . ولهذا، كانت محط أنظار الطامعين والمستعمرين . ومن ثم، كانت خاضعة لفترات للفرس والأحباش ، وانتشرت فيها المسيحية واليهودية وتصارعتا طويلاً حتى قبيل الإسلام .

---

(١) الساميون ولغاتهم ، د. حسن ظاظا ، ص : ١٠٢- ١١٠.

(٢) التطور النحوي للغة العربية ، للمستشرق برجشتراسر ، ص : ٢٢٠ .

ولم يقتصر تأثير الحبشة ولغتهم على جيرانهم اليمنيين فحسب ، بل كان ثمة تأثير آخر على عرب الحجاز . ومن المعروف أن أبرهة الحبشي كان يبغي من حملته التأديبية على الحجاز أن يصرف العرب عن مكة ويكرههم على اعتناق المسيحية وأن يتجهوا في حجهم إلى نجران أو صنعاء . ومن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم نعلم أنه نصح بعض أتباعه بالهجرة إلى الحبشة لما كان يتوقعه من ترحيب أهلها النصارى بهم " [(١)] .

وأما اللغة الفارسية - وهي لغة من اللغات الإيرانية إحدى شعبتي (اللغات الآرية) أو (اللغات الهندية - الإيرانية) تلك التي تنتمي إلى الفصيلة الهندية أو الأوروبية - فنظراً للجوار بين العرب والفرس ، فقد بدا مظهر التأثر والتأثير واضحاً بين العربية والفارسية منذ أقدم العصور، حتى لتجد أن معظم الكلمات الدخيلة في اللغة العربية كانت من اللغة الفارسية . ولعلَّ هذا الأمر هو الذي حمل الأزهري لكي يقول إن من كلام الفرس ما لا يحصى مما قد أعربته العرب. و قد كثرت هذه الكلمات حتى أصبحت كلمة (الفارسي) مرادفة (للأعجمي) عند علماء اللغة [(٢)] . ومن هذه الكلمات اصطلاحات الإدارة كالديوان و الدهقان والمجوس والفرسخ والنيروز والصولجان ... ومنها أسماء الأشياء الخاصّة بالعجم أو المجلوبة من عندهم كالجاموس والمسك والإستبرق و الإبريسم والسراج والخندق وغيرها [(٣)] .

---

(١) الساميون ولغاتهم ، د . حسن ظاظا ، ص : ١٣٥- ١٣٦ .

(٢) المعرّب والدخيل في اللغة العربية مع تحقيق الألفاظ الواردة في كتاب المعرّب ، للجواليقي .د. عبد الرحيم السبحان ، ص : ٢٣.

(٣) التعريب في القديم والحديث ، د. محمد حسن عبد العزيز، ص : ٢٢- ٢٣ .

" وأما اللغة الهندية السنسكريتية ، فهي إحدى شعبتي اللغات الآرية ، أو اللغات الهندية الإيرانية. و قد عرف العرب قبل الإسلام بلاد الهند وأحبوها إلى حدٍّ أنهم اتخذوا من اسمها اسماً لنسائهم ، و عرفوا عطورها ، وأحجارها ، وسيوفها ، وثمارها . وكانت تجارتهم مع الهند عن طريق البحر، فكان لا بد من أن تتأثر العربية بتلك اللغة وتستورد ألفاظا منها.

ويوضح الدكتور مراد كامل أن هناك كلمات عديدة من اللغة الهندية دخلت العربية مباشرة أو بواسطة لغات أخرى. ومن بين تلك الكلمات : الياقوت، الكافور، المسك الزنجبيل ، والفلفل "[1] .

وبعد هذا الاستعراض السريع لأهم اللغات التي أثّرت في اللغة العربية وتأثرت بها، لابد من ملاحظة ما يأتي :

١- تعتبر اللغة العربية واحدة من أعرق اللغات السامية . و الساميون كلمة تطلق لقباً على الشعوب الآرية والفنيقية والعبرية والعربية والبابلية والحبشية". وأول من استخدم هذا الوصف في إطلاقه على الشعوب السابقة ، العالم الألماني شلوتزر في أواخر القرن الثامن عشر ، وقد اقتبسه مما ورد في التوراة في سفر التكوين بصدد أولاد نوح الثلاثة (سام وحام و يافث) والشعوب التي انحدرت من كل ولد منهم "[2].

٢- وإذا كانت اللغة العربية واحدة من أعرق اللغات السامية ، فإن وجود ألفاظ مشتركة بينها وبين بقية اللغات السامية لا يعني بالضرورة أن تكون تلك الألفاظ معرّبة ، بل غالباً ما ترجع إلى الأصل السامي المشترك بين تلك اللغات

(١) اللغة العربية كائن حيّ ، جرجي زيدان، هامش ص : ٣٩، تعليق د. مراد كامل .

(٢) فقه اللغة ، د. علي عبد الواحد وافي ، ص : ٦ .

لأنها تنحدر من عائلة واحدة ، فلا ينسب لفظ إلى الألفاظ المعرّبة من دون دليل قويّ يثبت خروج ذلك اللفظ عن خصائص اللغة العربية واشتقاقها .

٣- إن اللغة العربية ليست بدعاً من اللغات الإنسانية ، " ... فهي جميعاً تتبادل التأثر والتأثير ، وهي جميعاً تقرض غيرها، وتقترض منها متى تجاورت أو اتصل بعضها ببعض على أيّ وجه ، وبأيّ سبب ، ولأي غاية . ومن يرم العربية مقصورة على الإعراب ، محبوسة عن التعريب ، ويزعم أنها بصيغها وأنواع اشتقاقها وحدها أعربت عن خصائصها الذاتية ، وأنها إن أدخلت على نفسها بالتعريب مصطلحات الحضارة شوّهت محاسنها ، وفقدت خصائصها ، و أنكرت نفسها بنفسها ، فليس يريد لهذه اللغة إلا الموت ، وليس يعيش بعربيته إلا في بروج من العاج بناها له خيال سقيم " (١) .

٤- إن ما أدخلته العربية في ثروتها من لغات الأمم المجاورة لها ، أو التي لها بها ضرب من الاتصال ، عرَّبته وأدخلته في لغتها قبل الإسلام حتى رأيناه في الشعر الجاهلي ونزل به القرآن ، و وجدناه في الحديث النبوي .

" ففي الجاهلية عُرِّب عن الفارسية مثل : الدولاب و الدسكرة والكعك و السميذ والجلنّار. وعن الهندية أو السنسكريتية مثل : الفلفل والجاموس والشطرنج والصندل. وعن اليونانية مثل : القبّان والقنطار والترياق " (٢) .

٥ - إن أكثر الألفاظ التي احتاج العرب إلى تعريبها هي ألفاظ الحضارة والعلوم والفنون ، ونستثني من العلوم مصطلحات الفقه والحديث و التفسير و ما إليها من العلوم النقلية ، فما آنس علماؤنا حاجة إلى تعريبها مثل حاجتهم إلى

(١) دراسات في فقه اللغة ، د. صبحي الصالح ، ص : ٣٦٦- ٣٦٧ .

(٢) المصطلحات العلمية ، للأمير مصطفى الشهابي ، ص : ١٧ .

تعريب العلوم الدخيلة ، إذ كانت تعابيرها من صلب العربية ، وجاءت في كتبهم فصيحة محكمة .

٦- من الملاحظ أن اللغويين العرب عندما ألّفوا في الدخيل والمعرّب، لم يحسنوا دائماً التمييز بين العربي والأعجمي ، فكثيراً ما نجدهم ينفون العجمة عن لفظ بمجرد وروده في القرآن الكريم لاعتقاد بعضهم عدم وجود لفظ معرب في القرآن الكريم بينما نجد آخرين يسارعون إلى إلصاق العجمة بألفاظ عربية أصيلة من غير دليل على ذلك ، والعمدة في هذا الباب للاشتقاق [1] .

المبحث الثاني : آراء العلماء في وقوع المعرّب في القرآن الكريم :

اختلف العلماء - على تعدّد اختصاصاتهم في التفسير والفقه والحديث واللغة - في وقوع المعرّب في القرآن الكريم اختلافاً كبيراً، حيث تباينت مواقفهم ، وتعددت آراؤهم في هذا الموضوع الخطير لكونه يتعلق بالقرآن الكريم . والمتتبع لتلك المواقف يجدها ثلاثة ، لكل منها وجهته وأدلته .

الرأي الأول : عدم وجود المعرّب في القرآن الكريم :

ذهب إلى هذا الرأي فريق كبير من العلماء في القديم والحديث ، منهم الشافعي وابن جرير الطبريّ وأبو عبيدة بن المثنى والقاضي الباقلاني وابن فارس وغيرهم من كبار العلماء وكبار الباحثين القدماء ، ومن العلماء المحدثين : الشيخ أحمد محمد شاكر .

وقد فسّر هذا الفريق وجود تلك الألفاظ التي قيل بتعريبها بأنها ألفاظ مشتركة بين اللغات ، أو أنها ألفاظ عربية أصيلة انتقلت إلى اللغات الأخرى .

والأدلة التي اعتمد عليها هذا الفريق في تقرير مذهبه ما يأتي :

(١) دراسات في فقه اللغة ، د.صبحي الصالح ، ص : ٣٧٣ .

أ - القرآن الكريم ، فقد صرّح مراراً في كثير من الآيات بأنه كتاب عربي مبين كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١) .

وهذه الآية تدل دلالة واضحة على عربية القرآن ، وعلى عدم اتصافه بالعجمة. ولذا ، وجدنا الإمام الشافعي - رحمه الله - يقول في هذا المعنى : " فأقام حجته بأن كتابه عربي في كل آية ذكرناها ، ثمّ أكّد ذلك بأن نفى عنه- جلَّ ثناؤه - كلّ لسان غير لسان العرب ". ثم يشدد الإمام الشافعي النكير على من يدَّعي وجود شيء من غير لغة العرب في القرآن فيقول : " وقد تكلّم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه لكان الإمساك أولى به وأقرب من السلامة له إن شاء الله ، فقال منهم قائل : إن في القرآن عربياً وأعجمياً ، والقرآن دلَّ على أنه ليس من كلام الله شيء إلا بلسان العرب. و وجد قائل هذا القول من قبل ذلك منه تقليداً له ، وتركاً للمسألة عن حجته ومسألة غيره ممن خالفه . وبالتقليد أغفل من أغفل منهم والله يغفر لنا ولهم " (٢) .

ويقول أبو عبيدة - معمر بن المثنى - : " إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم على الله القول " (٣) .

ب - ما رواه ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وغيره من تفسير ألفاظ القرآن أنها بالفارسية أو الحبشية أو النبطية أو غيرها ، إنما اتفق فيها توارد اللغات ، فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد .

يقول الإمام الشافعي : " ولا ننكر إذا كان اللفظ قيل تعلما أو نطق به موضوعاً أن يوافق لسان العجم أو بعضها قليلاً من لسان العرب كما يتفق القليل من ألسنة

---

(١) سورة الزخرف ، الآية : ٣ .

(٢) انظر : الرسالة ، للإمام الشافعي ، ص : ٤١- ٤٧ .

(٣) انظر : الصاحبي ، لابن فارس ، ص : ٤٦ ، والإتقان ، للسيوطي ١/ ١٧٨ .

العجم المتباينة في أكثر كلامها ، مع تنائي ديارها ، واختلاف لسانها ، وبعد الأواصر بينها وبين من وافقت بعض لسانه منها " [1] .

ويقول أبو عبيدة - معمَّر بن المثنى - : " وقد يوافق اللفظُ اللفظَ ويفارقه و معناهما واحد ، و أحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها . فمن ذلك : الإستبرق بالعربية وهو الغليظ من الديباج ، وهو إستبره بالفارسية " [2] .

بل ذهب بعض العلماء من هذا الفريق إلى أبعد من ذلك حيث رأى أن تلك الألفاظ التي قيل بتعريبها إنما هي ألفاظ عربية فقدت أصولها وبقيت حروفها ، لأن اللغة العربية ضاع الكثير من مفرداتها قبل التاريخ ، ولكنها نقلت إلى اللغات الأخرى. يقول الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - : " والعرب أمة من أقدم الأمم ، ولغتها من أقدم اللغات وجوداً ، كانت قبل إبراهيم وإسماعيل ، وقبل الكلدانية والعبرية والسريانية وغيرها ، بله الفارسية . وقد ذهب منها الشيء الكثير بذهاب مدنيتهم الأولى قبل التاريخ ، فلعلَّ الألفاظ القرآنية ، التي يُظن أن أصلها ليس من لسان العرب ، ولا يُعرف مصدر اشتقاقها ، لعلها من بعض ما فقد أصله وبقي الحرف وحده " [3] .

بل قد تكون خاصِّية الاتساع التي تتميَّز بها اللغة العربية على غيرها من الأسباب التي أدَّت إلى خفاء تلك الكلمات التي قيل بعجمتها عن العلماء ، ولا أدلَّ على هذا المعنى من أنه قد خفي على ابن عباس - رضي الله عنهما - وهو من هو في اللغة ، معنى كلمة (فاطر)، فيروي هو عن نفسه فيقول : " كنت لا

(١) الرسالة ، للإمام الشافعي ، ص : ٤٤- ٤٥ .

(٢) الصاحبي لابن فارس ، ص : ٤٣- ٤٤ .

(٣) المعرّب للجواليقي ، مقدمة المحقق ، ص : ١٣ .

أدري ما (فاطر السموات والأرض) حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما لصاحبه: أنا فطرتها، أي : بدأتها "[1] .

وإذا كان مثل هذا اللفظ قد خفي على حبر الأمة ، فلا يبعد أن تكون تلك الألفاظ التي قيل بتعريبها من هذا القبيل .

ويؤيد الإمام الشافعي هذا الرأي حيث يقول - رحمه الله - : " ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً ، وأكثرها ألفاظاً ، و لا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبيّ "[2].

ويرى بعض المفكرين المحدثين هذا الرأي ، فيقول : " إن لغة احتكّت بغيرها من اللغات الأخرى فأثرت فيها ، و وصلت إلى هذه الدرجة من التطور لا بد أن تكون مورداً لغيرها من اللغات الأخرى ، تمدُّها بما تحتاج إليه من مفرداتها الواسعة. وبمرور الزمن أصبحت هذه المفردات العربية لبنات في بناء هذه الأمم ، ولا يصح في مجال التفكير السليم أن نقول : إن القرآن الكريم استعارها من هذه اللغات. وإذا قلنا ذلك ، فهذا تحكم لا تسنده إلا هذه الأخبار التي ذكرها الرواة ، وهي أخبار واهية تتعارض مع صريح القرآن الكريم حينما يقول: ﴿ إنا أنزلناه قرءانا عربيا ﴾.

ومن العجب حقاً أن ندعي أن مفردات اللغة العربية التي عاشت هذا العمر الطويل وتطورت هذا التطور الكبير عبر التاريخ ، و عبر الأجيال ، تمثلها هذه المعاجم اللغوية ، أو هذه الروايات التي جمعها لنا رواة العرب حينما بدؤوا يدونون اللغة. أجل ، لقد أحس بهذه الحقيقة راوية من كبار الرواة ، وعميد من

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٥٤٦ .

(٢) الرسالة للشافعي ، ص : ٤٢ .

عمداء اللغة ، إنه أبو عمرو بن العلاء الذي يقول : " ما انتهى إليكم مما قالته العرب إلا أقلُّه ولو جاءكم علم وافر وشعر كثير " (١) .

على أن العقل لا يمكن أن يسلم بأعجمية هذه الكلمات من ناحية أخرى ، فهذه الكلمات - كما يقول السيوطي- أكثر من مائة لفظة ، و هو عدد قليلٌ جداً بالنسبة إلى كلمات القرآن الكريم التي تبلغ في رواية الفضل بن شاذان عن عطاء بن يسار سبعاً وسبعين ألف كلمة ، وأربعمائة وسبع وثلاثين كلمة (٢) .

ومن الحجج التي استند عليها هذا الفريق ، أنهم قالوا : لو جاز أن يكون في القرآن شيء من غير لغة العرب ، لتوهَّم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثل القرآن الكريم لأنه أتى بلغات لا يعرفونها (٣) .

هذه خلاصة لأدلة الفريق الأول المنكر لوجود المعرب في القرآن الكريم .

الرأي الثاني : وقوع المعرَّب في القرآن الكريم :

وهذا مذهب فريق كبير من العلماء ، على رأسهم الصحابي الجليل عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، والضحاك ، وعطاء من التابعين ، وكذلك العلاّمة ابن جنّي ، والإمام الجويني ، وابن النقيب ، وأبو ميسرة ، والثعلبي ، و السيوطي ، وغيرهم. وقد اعتمد هذا الفريق على مجموعة من الأدلة ، وأهمها ما يأتي :

١- ما أخرجه ابن جرير الطبري - رحمه الله - بسند صحيح عن أبي ميسرة ، التابعي الجليل ، قال : " في القرآن من كل لسان " (٤) .

---

(١) دفاع عن كتاب الله تعالى : قضية الكلمات الأعجمية في القرآن ، د. عبد العال سالم مكرم ، مقال منشور بمجلة الوعي الإسلامي ، عدد ٨٢ ، شول ١٣٩١هـ ، ص : ٢١ .

(٢) انظر البرهان للزركشي ١/ ٢٤٩.

(٣) هذا الرأي لابن فارس ، انظر الصاحبي ، ص : ٤٦ .

(٤) مقدمة تفسير الطبري ١/ ٨ ، والإتقان ١/ ١٧٨ . والمهذب فيما وقع في القرآن من المعرب للسيوطي : مقدمة المحقق ، ص : ٦١ .

ونقل الثعالبي عن بعضهم قال : " ليس لغة في الدنيا إلا وهي في القرآن " [1] .

و يقول السيوطي قي تعليقه على العبارة السابقة : " فهذه إشارة إلى حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن أن حوى علوم الأولين والآخرين، ونبأ كل شيء ، فلا بدَّ أن تقع الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن، ليتمَّ إحاطته بكل شيء ، فاختير له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالا للعرب " [2] .

٢- يعتبر وجود المعرَّب في القرآن من أهم الخصائص التي تميزه عن بقية الكتب السماوية السابقة. وينقل الإمام السيوطي - في هذا المعنى - عن ابن النقيب فيقول : "ثم رأيت ابن النقيب صرَّح بذلك فقال في تفسيره : من خصائص القرآن على سائر كتب الله المنزلة أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم ، لم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم ، والقرآن احتوى على جميع لغات العرب (لهجاتها) ، وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير " [3] .

٣- عموم رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - لجميع البشر يقتضي اشتمال الكتاب المنزل عليه ، على ألسن كثيرة ولغات عديدة . يقول الإمام السيوطي : " قلت: وأيضاً، فالنبي مرسل إلى كل أمة ، وقد قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ [4] ، فلا بدَّ وأن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم ، وإن كان أصله بلغة قومه هو " [5] .

---

(١) انظر مقدمة المهذّب للسيوطي، ص : ٦١ .

(٢) الإتقان ١/١٣٧ .

(٣) الإتقان ١/ ١٣٧ ، وانظر مقدمة المهذب للسيوطي، ص : ٦٢ .

(٤) سورة إبراهيم ، الآية : ٤ .

(٥) الإتقان ١/ ١٣٧ ، ومقدمة المهذب للسيوطي ، ص : ٦٢ .

٤- وردت أعلام أعجمية في القرآن الكريم اتفق النحاة على منعها من الصرف للعلمية و العجمة، وإن كانت الأعلام ليست محل خلاف بين العلماء ، فالخلاف حصل في غيرها ، ولكن إذا وردت الأعلام الأعجمية في القرآن مثل إبراهيم وغيره، فلا مانع من ورود بقية أنواع الكلام [(١)] .

٥- أخرج ابن جرير - رحمه الله - في تفسيره بسنده عن سعيد بن جبير قال : قالت قريش : " لولا أنزل هذا القرآن أعجمياً وعربياً، فأنزل الله تعالى : ﴿ لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَاَعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ...﴾ [(٢)] ، فأنزل الله بعد هذه الآية القرآن بكل لسان فيه ﴿حجارة من سجيل ﴾ فارسية " [(٣)] .

وقد ساق السيوطي ردَّ هذا الفريق المؤيد لوجود المعرب في القرآن الكريم على الفريق الأول المعارض لوجوده فيه ، فقال : " وأجابوا عن قوله تعالى ﴿ قرآنا عربياً﴾ بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربياً ، والقصيدة الفارسية لا تخرج عنها بلفظة فيها عربية، وعن قوله تعالى : ﴿ أأعجمي وعربي ﴾ ، بأن المعنى من السياق ، أكلام أعجمي ومخاطب عربي ؟! " [(٤)] .

الرأي الثالث : التوسط في القول بوجود المعرب في القرآن الكريم وعدم وجوده:

يقف على رأس هذا الفريق : الإمام الجليل أبو عبيد القاسم بن سلام ، حيث يقول : "والصواب عندي : مذهب فيه تصديق القولين جميعاً ، وذلك لأن هذه

---

(١) انظر الإتقان ١/١٣٧ ، ومقدمة المهذب، ص : ٦٠ .

(٢) سورة فصلت ، الآية : ٤٤ .

(٣) تفسير الطبري ١/ ٦ .

(٤) الإتقان ١/ ١٣٧ .

الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء ، ولكنها وقعت للعرب فعرَّبتها بألسنتها وحوَّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال إنها عربية فهو صادق ، ومن قال إنها أعجمية فصادق " (١) .

وأيد الجواليقي هذا الرأي فقال : " وكلاهما مصيب إن شاء الله تعالى ، وذلك أن هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل ، فقال: أولئك على الأصل ، ثمَّ لفظت به العرب بألسنتها فعربته ، فصار عربياً بتعريبها إيَّاه ، فهي عربية في هذه الحال، أعجمية الأصل " (٢) .

فإذا كان هذا الخلاف وقع بين العلماء من لغويين و فقهاء و أصوليين ، فإنه يجدر بنا أن نبحث رأي المفسرين في المسألة لمعرفة مدى إمكانية وقوع المعرب في القرآن الكريم .

المبحث الثالث : آراء المفسرين في وقوع المعرَّب في القرآن الكريم :

إذا تتبعنا آراء معظم المفسِّرين في وجود المعرب في القرآن الكريم من خلال كتب التفسير، أمكننا حصر تلك الآراء في رأيين اثنين فقط ، ولا نجد ذات التفصيل الذي وقفنا عليه لدى غيرهم في هذا المجال ، منهم من ينكر وقوع الأعجمي في القرآن الكريم مطلقاً ، و منهم من يذهب إلى أن بعض الكلمات من أصل أعجمي عرّبها العرب و أجروها على أصول كلامهم .

---

(١) راجع : الصاحبي لابن فارس ، ص : ٢٩ ، والبرهان للزركشي ١/٢٩٠ ، و المهذب للسيوطي، ص : ٦٥ ، و المزهر ١/٢٦٨- ٢٦٩ ، والإتقان ١/١٣٧ .

(٢) المعرَّب للجواليقي ، ص : ٥ .

الرأي الأول : إنكار وجود المعرب في القرآن الكريم :

ذهب إلى هذا الرأي جماعة من المفسرين ، منهم :

١- الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) :

يتلخص رأي هذه الجماعة التي يتزعمها الطبري في أنه لا توجد في القرآن الكريم ألفاظ ترجع إلى أصول أعجمية ، اقتبسها العرب من العجم وعرّبوها، وأدخلوها في لغتهم ، وما ورد من أخبار وروايات عن ابن عباس ومجاهد وابن جبير وغيرهم من المفسرين ، والتي تدل على أن هناك كلمات أعجمية في القرآن لا يعني ذلك أن تلك الكلمات لم تكن معروفة عند العرب قبل نزول القرآن ، ولكن غاية ما تدلُّ عليه أنها من الكلام التي اتفقت فيه ألفاظ بعض الأمم ، فهي ألفاظ مشتركة فيما بينها ، وليست إحداها مقتبسة من الأخرى . ومثال ذلك : اتفاق الفارسية والعربية في كلمات، منها : الدرهم والدينار والدواة والقلم والقرطاس وغيرها من الألفاظ . وكل لفظ اتفق على استعماله بين أمتين لا ينسب إلى إحداها فقط ، ولكن ينسب إلى كليهما، فيقال : لفظ عربي أعجمي ، أو حبشي عربي أو فارسي عربي ، وهكذا [(١)]...

وسوف أسوق بعض الروايات التي أوردها الطبري في هذا الباب نماذج تطبيقية لمذهبه السابق ، في معنى المعرَّب في القرآن الكريم وذلك خلال الأمثلة الآتية :

١- أورد الطبري في تفسير كلمة (أكواب) ، التي جاءت في عدة مواضع في القرآن الكريم ، ما نقله عن الضحاك قال : " الأكواب : جرار ليست لها عرى ، هي بالنبطية : كوبا " [(٢)] .

---

(١) يراجع : مقدمة تفسير الطبري ١ / ٩ – ١١ .

(٢) تفسير الطبري ٢٧ / ١٧٤ .

٢- في تفسير كلمة (الجبت) من قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلاً ﴾ [١] ، روى بسنده عن سعيد بن جبير في هذه الآية قال : " الجبت : الساحر، بلسان الحبشة ، والطاغوت : الكاهن " [٢] .

٣- وعندما فسَّر قوله تعالى : ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ [٣] ، روى في معنى قوله تعالى : ﴿ سريا ﴾ بسنده عن مجاهد : ﴿ سريا ﴾ قال: " نهراً ، بالسريانية " [٤] .

٤- و عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْأٰكِلِينَ ﴾ [٥] ، ذكر عن الضحاك في قوله : ﴿ من طور سيناء ﴾ : " الطور : الجبل، بالنبطية ، وسيناء : جنة، بالنبطية " [٦] .

٥- و عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴾ [٧] ، روى بسنده عن ابن عباس قال : " طوبى : اسم الجنة

---

(١) سورة النساء : ٥١ .

(٢) تفسير الطبري ٥ / ١٣١ .

(٣) سورة مريم ، الآية : ٢٤ .

(٤) تفسير الطبري ٩/ ٦٧ .

(٥) سورة المؤمنون ، الآية : ٢٠ .

(٦) تفسير الطبري ١/ ١٣ .

(٧) سورة الرعد ، الآية : ٢٩ .

بالحبشة " . وروى بسنده عن سعيد بن مشجوع ، قال : " طوبى: اسم الجنة ، بالهندية " [1] .

٦- و في تفسير كلمة (كوِّرت) التي وردت في قوله تعالى ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ [2] ، روى بسنده عن سعيد بن جبير في قوله : ﴿ إذا الشمس كوِّرت ﴾ قال : (غوِّرت) وهي بالفارسية " . و روى أيضاً بسنده عن سعيد في قوله : (كوِّرت) قال : " (كورا) بالفارسية " [3] .

٧- و عند تفسير كلمة (منسأة) المذكورة في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [4] ، روى بسنده عن السدِّي قال : "المنسأة : العصى ، بالحبشية " [5] .

٨- و في تفسير كلمة (منفطر) الواردة في قوله تعالى : ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴾ [6] ، روى بسنده عن ابن عباس: (السماء منفطر به) قال: " ممتلئة ، بلسان الحبشة " [7] .

٩- و في تفسير كلمة (هيت لك) الواردة في قوله تعالى : ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ

(١) تفسير الطبري ٨/ ١٤٦- ١٤٧ .

(٢) سورة التكوير ، الآية : ١ .

(٣) تفسير الطبري ١٥/ ٦٤ .

(٤) سورة سبأ ، الآية : ١٤ .

(٥) تفسير الطبري ١٢/ ٧٣ .

(٦) سورة المزمل ، الآية : ١٨ .

(٧) تفسير الطبري ١٤/ ١٣٨ .

أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [1] ، روى بسنده عن الحسن : (هيت لك) قال : كلمة بالسريانية ، أي : عليك " [2] .

١٠- و في تفسير كلمة (أوِّبي) التي وردت في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ [3] ، روى بسنده عن أبي ميسرة قال :" سبحان ، بلسان الحبشة " [4] .

هذه بعض النماذج من الروايات التي ساقها الطبري في تفسيره للألفاظ التي اتفقت فيها لغات البشر . و رغم وضوح رأيه في مسألة وجود المعرَّب في القرآن الكريم ، فإن الإمام السيوطي - رحمه الله - أسند للطبري رأياً مخالفاً للرأي الذي اعتمده في هذا الموضوع ، فقد ذكر السيوطي في كتابه (المهذَّب فيما وقع في القرآن من المعرَّب) حيث عدَّه من المؤيدين لرأي أبي عبيد القاسم بن سلام ، والذي ذهب إلى وجود ألفاظ معرَّبة في القرآن الكريم ، أصول حروفها أعجمية ، ولكن العرب أعربتها ووضعتها في كلامها ، فأصبحت عربية ، فقد علَّق السيوطي بعد ذكره رأي أبي عبيد السابق ، فقال : " وهذا هو الذي جزم به ابن جرير، ومال إلى هذا القول الجواليقي وابن الجوزي وآخرون " [5] . وبذلك ، يظهر لنا خطأ السيوطي في إسناد هذا الرأي إلى الإمام الطبري ، رحمهما الله تعالى

٢ - الإمام الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ):

من المفسرين الذين أيَّدوا الطبري في موقفه من المعرَّب : الإمام الرازي - رحمه الله - وقد أعلن عن موقفه صراحة عندما قال : " ما وقع في القرآن من

(١) سورة يوسف ، الآية : ٢٠.

(٢) تفسير الطبري ٧/ ١٨٠ .

(٣) سورة سبأ ، الآية : ١٠ .

(٤) تفسير الطبري ١٢/ ٦٥ .

(٥) المهذب للسيوطي ، ص : ٦٥ .

نحو المشكاة والقسطاس والإستبرق والسجيل ، لا نسلّم أنها غير عربية ، بل غايته أن وضع العرب فيها وافق لغة أخرى كالصابون والتنور ، فإن اللغات فيها متفقة " [١].

وعبَّر عن ذلك الموقف الرافض وجود كلمات معربة في القرآن الكريم مرة أخرى عندما فسَّر قوله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[٢] فقال : "ذهب قوم إلى أنه حصل في القرآن من سائر اللغات ، كقوله : (إستبرق) و(سجيل)، فإنهما فارسيان ، وقوله :(مشكاة) فإنها من لغة الحبشة ، وقوله : (قسطاس) فإنه من لغة الروم ، والذي يدل على فساد هذا المذهب قوله (قرآنا عربيا) ، وقوله : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾"[٣].

و عند تفسير كلمة (القسطاس) التي وردت في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [٤] ، قال : " والقسطاس في معنى الميزان ، إلا أنه في العرف أكبر منه . ولهذا ، اشتهر في ألسنة العامة أنه القبَّان . وقيل : إنه بلسان الروم ، أو السرياني . والأصح أنه لغة العرب وهو مأخوذ من القسط ، وهو الذي يحصل فيه الاستقامة والاعتدال ، وبالجملة فمعناه المعتدل الذي لايميل إلى أحد " [٥] .

---

(١) المزهر للسيوطي ١/٢٦٧.

(٢) سورة فصلت ، الآية : ٢ .

(٣) تفسير الرازي ٢٧ /٩٥ .

(٤) سورة الإسراء ، الآية : ٣٥ .

(٥) تفسير الرازي ٢٠/ ٢٠٦ .

و من المفردات التي حملها الرازي على كونها من قبيل المشترك بين اللغات : سندس و إستبرق و طور سينين، حيث قال في تفسيره لكلمتي (سندس وإستبرق) المذكورتين في قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [1] : " والمراد من سندس : الآخرة ، وإستبرق : الآخرة ، والأول هو الديباج الرقيق، وهو الخزُّ . والثاني هو الديباج الصفيق . وقيل : أصله فارسي معرَّب ، وهو إستبره ، أي : غليظ " [2] .

وقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ [3] : " المراد من الطور: الجبل الذي كلَّم الله تعالى موسى عليه السلام . واختلفوا في (سينين) ، والأولى عند النحويين أن يكون سينين وسينا اسمين للمكان الذي حصل فيه الجبل ، أضيفا إلى ذلك المكان، وأما المفسرون ، فقال ابن عباس في رواية عكرمة : (الطور) : الجبل . و(سينين) الحسن ، بلغة الحبشة . وقال مجاهد: (سينين) : المبارك . وقال الكلبي : هو الجبل المشجر ذو الشجر . وقال مقاتل : كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين ، وسينا بلغة النبط " [4] .

٣- الإمام القرطبي (ت ٦٧١ هـ) :

من المفسرين الذين وافقوا الإمام الطبري في مذهبه السابق في المعرَّب الإمام القرطبي - رحمه الله - ويظهر لنا رأيه خلال ردِّه على ابن عطية المؤيد لوجود

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ٣١ .

(٢) تفسير الرازي ٢١/ ١٢٢ .

(٣) سورة التين ، الآية : ٢ .

(٤) تفسير الرازي ٣٢ / ١٠ .

المعرَّب في القرآن الكريم ، فقد ردَّ عليه قوله إن الألفاظ المعرَّبة أصلها أعجمي فهي دخيلة على لغة العرب، حيث قال ابن عطية : " هي أصل في كلام غيرهم ، دخيلة في كلامهم " ، فردَّ القرطبي على ذلك فقال : " وقوله : " هي أصل في كلام غيرهم، دخيلة في كلامهم " ليس بأولى من العكس ، فإن العرب لا يخلو أن تكون تخاطبت بها أولاً ، فإن كان الأول ، فهي من كلامهم ، إذ لا معنى لكلامهم ولغتهم إلا ما كان كذلك عندهم . ولا يبعد أن يكون غيرهم قد وافقهم على بعض كلماتهم ، وقد قال ذلك الإمام الكبير أبو عبيدة.

فإن قيل : ليست هذه الكلمات على أوزان العرب فلا تكون منه ، قلنا : ومن سلَّم لكم أنكم حصرتم أوزانهم حتى تخرجوا هذه منها؟! فقد بحث القاضي عن أصول أوزان كلام العرب ، ورد هذه الأسماء إليها على الطريقة النحوية، وأما إن لم تكن العرب تخاطبت بها ولا عرفتها، استحال أن يخاطبهم الله بما لا يعرفون . وحينئذ ، لا يكون القرآن عربياً مبيناً ، ولا يكون الرسول مخاطباً لقومه بلسانهم "[1] .

و عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ...﴾ [2] ، قال : قوله تعالى :﴿ و لو جعلناه قرآناً أعجمياً ﴾ ، أي : بلغة غير لغة العرب (لقالوا لولا فصلت آياته) ، أي : بينت بلغتنا ، فإننا عرب لا نفهم الأعجمية ، فبين أنه أنزله بلسانهم ليتقرر به معنى الإعجاز، إذ هم أعلم الناس بأنواع الكلام نظماً ونثراً . وإذا عجزوا عن معارضته

(١) مقدمة تفسير القرطبي ١/ ٦٩ .

(٢) سورة فصلت ، الآية : ٤٤ .

كان من أدل الدليل على أنه من عند الله . و لو كان بلسان العجم ، لقالوا : لا علم لنا بهذا اللسان . وإذا ثبت هذا ، ففيه دليل على أن القرآن عربي، وأنه نزل بلغة العرب ، وأنه ليس أعجميا، وأنه إذا نقل عنها إلى غيرها لم يكن قرآنا " [1].

ويظهر لنا من خلال ما سبق ، أن القرطبي يوافق الطبري في رأيه القائل بأن تلك الألفاظ التي قيل بتعريبها ، إنما هي ألفاظ مشتركة بين العربية وبعض اللغات. ومن ثَمَّ، نجد القرطبي يورد في كثير من الأحيان أقوال السلف في لغات تلك الكلمات ، ولكن على مذهب الطبري الذي سبق بيانه . وسأذكر بعض الروايات في هذا الباب على النحو الآتي :

١- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ...﴾ [2] ، قال القرطبي : " اختلف أهل التأويل في تأويل الجبت والطاغوت ، فقال ابن عباس وابن جبير وأبو العالية : الجبت : الساحر بلسان الحبشة، والطاغوت : الكاهن " [3].

٢- و عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴾ [4]، قال : " والقسطاس - بضم القاف وكسرها - : الميزان ، بلغة الروم ، قاله ابن عزيز . وقال مجاهد: القسطاس : العدل، وكان يقول: هي لغة رومية " [5] .

---

(١) تفسير القرطبي ١٥/ ٣٦٨ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٥١ .

(٣) تفسير القرطبي ٥/ ٢٤٨ .

(٤) سورة الإسراء ، الآية : ٣٥ .

(٥) تفسير القرطبي ١٠/ ٢٥٧ .

٣- وقال في تفسيركلمة (إستبرق) المذكورة قي قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[1] ، قال : "والإستبرق : الديباج . ابن بحر : المنسوج بالذهب . القتبي : فارسي معرَّب . الجوهري : وتصغيره أبيرق . وقيل : هو استفعل من البريق . **والصحيح أنه وفاق بين اللغتين ، إذ ليس في القرآن ما ليس من لغة العرب** "[2] .

٤- و عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾[3] ، قال :" وقال مجاهد: الفردوس : البستان ، بالرومية "[4] .

٥- و عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾[5] ، قال : " روى ابن أبي نجيح، عن مجاهد : (وطور سينين) قال : جبل . (سينين) قال : مبارك ، بالسريانية ... وقال مقاتل والكلبي : (سينين) كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسيناء بلغة النبط"[6].

و بهذا ، يظهر لنا أن هذا الفريق من المفسرين ، ذهب إلى عدم وقوع المعرب في القرآن الكريم ، و أن ما يظن أنه من قبيل المعرب إنما هو عربي أصيل ، انتقل إلى بقية اللغات ، أو هو من قبيل المشترك بينها . و هو رأي لا يقوم على دليل

(١) سورة الكهف ، الآية : ٣١ .
(٢) تفسير القرطبي ١٠/ ٣٩٧ .
(٣) سورة الكهف ، الآية : ١٠٧ .
(٤) تفسير القرطبي ١١/ ٦٨ .
(٥) سورة التين ، الآية : ٢ .
(٦) تفسير القرطبي ٢٠/ ١١٢ .

خصوصاً فيما يعتقدونه من جواز تأثر بقية اللغات باللغة العربية من غير أن تتأثر العربية بغيرها ، علما بأن التواصل بين المجتمعات العربية و غيرها كان قائماً ولا ينكره أحد ، فكيف لا يتصور حدوث التأثر المتبادل؟!

الرأي الثاني : القول بوجود المعرَّب في القرآن الكريم :

ذهبت مجموعة كبيرة من المفسرين إلى رأي مخالف لرأي المجموعة السابقة التي رفضت فكرة وجود المعرب في القرآن الكريم ، مثل ابن عباس و مجاهد و عكرمة وغيرهم ، منهم :

١ - الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) :

من المفسرين الذين أيَّدُوا وجود المعرب في القرآن الكريم الزمخشري ، وهذا ما عبر عنه في عدة مواضع من كشافه ، وسأكتفي بذكر المثالين الآتيين :

* عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [(١)]

قال : "السندس : ما رقَّ من الديباج . والإستبرق : ما غلظ منه . وهو تعريب إستبره . فإن قلت : كيف ساغ أن يقع في القرآن العربي المبين لفظ أعجمي ؟! قلت : إذا عُرِّب خرج من أن يكون أعجمياً ، لأن معنى التعريب أن يجعل عربياً بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه وإجرائه على أوجه الإعراب " [(٢)] .

* و عند تفسير قوله تعالى : ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [(٣)] ، قال : " وسجيل : علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار ، كما أن سجيناً : علم لديوان أعمالهم ، كأنه قيل : بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون ،

(١) سورة الدخان ، الآية : ٥٣ .

(٢) تفسير الكشاف ٣/ ٥٠٧ .

(٣) سورة الفيل ، الآية : ٤ .

واشتقاقه من الإسجال وهو الإرسال ، لأن العذاب موصوف بذلك ... وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - : من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر ، وقيل : هو مُعرَّب من سنكيكل " [1] .

٢ - المفسر ابن عطية (ت ٥٤٢ هـ) :

يعتبر ابن عطية على رأس المجموعة القائلة بوجود المعرب في القرآن الكريم ، وردَّ رأي الإمام الطبري الذي فسّر مسألة الألفاظ المعربة بأنها ألفاظ اتفقت فيها اللغات ، و قدّم تفسيراً لأسباب تسرّب المعرب إلى لغة العرب ، خاصة احتكاكهم بالأمم المحيطة بهم عن طريق السفر و التجارة و غيرها ، و في ذلك قال في مقدمة تفسيره : " اختلف الناس في هذه المسألة ، فقال أبو عبيدة وغيره : إن في كتاب الله تعالى من كل لغة ، وذهب الطبري وغيره إلى أن القرآن ليس فيه لفظة إلا وهي عربية صريحة ، وأن الأمثلة والحروف التي تنسب إلى سائر اللغات إنما اتفق فيها أن تواردت اللغتان، فتكلمت بها العرب والفرس أوالحبشة بلفظ واحد، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ ﴾ [2] ، قال ابن عباس: نشأ : لغة الحبشة : قام من الليل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ ﴾[3] ، قال أبو موسى الأشعري : كفلان : ضعفان من الأجر، بلسان الحبشة. وكذلك قال ابن عباس في القسورة: إنه الأسد ، بلغة الحبشة. إلى غير هذا من الأمثلة. والذي أقوله: إن القاعدة والعقيدة ، هي أن القرآن نزل بلسان عربي مبين، فليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب فلا تفهمها إلا من لسان آخر، فأما هذه الألفاظ وما جرى مجراها، فإنه كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلسانها بعض مخالطة لسائر

(١) تفسير الكشاف ٤/ ٢٣٤ .

(٢) سورة المزمل ، الآية : ٦ .

(٣) سورة الحديد ، الآية : ٢٨ .

الألسنة بتجارات وبرحلتي قريش ، كسفر مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس إلى الشام ، وكسفر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكسفر عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى أرض الحبشة ، وكسفر الأعشى إلى الحيرة ، وصحبته لنصاراها مع كونه حجة في اللغة ، فعلقت العرب بهذا كله ألفاظاً أعجمية غيَّرت بعضها بالنقص من حروفها ، وجرت إلى تخفيف ثقل العجمة ، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الصريح ، ووقع بها البيان . وعلى هذا الحدِّ نزل بها القرآن، فإن جهلها عربي ما ، فكجهله الصريح بما في لغة غيره ، كما لم يعرف ابن عباس معنى(فاطر)، إلى غير ذلك. فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ ، أنها في الأصل أعجمية، لكن استعملتها العرب وعرَّبتها ، فهي عربية بهذا الوجه . وما ذهب إليه الطبري من أن اللغتين اتفقتا في لفظة لفظة ، فذلك بعيد ، بل إحداهما أصل ، والأخرى فرع في الأكثر [1] ، لأنا لا ندفع أيضاً جواز الاتفاق قليلاً شاذاً " [2] .

فهذا الكلام يظهر بوضوح رأي ابن عطية - رحمه الله - فهو يرى وجود ألفاظ معرَّبة في القرآن الكريم .

وقد تتبعت ابن عطية في تفسيره في عدة مواضع ، فرأيته يعبِّر عن رأيه السابق في وجود المعرَّب في القرآن الكريم، ومن تلك المواضع ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [3] ، حيث قال : "

(١) أي أصل في كلام العجم وفرع من كلام العرب .

(٢) يعني أن توافق اللغات وارد ، ولكنه على جهة القلة والشذوذ ، والأكثر هو أن تكون الكلمة أصيلة في كلام غير العرب ، ودخيلة في كلام العرب . وانظر مقدمة المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ١/٥٧- ٥٨ .

(٣) سورة فصلت ، الآية : ٣ .

أي: جعلناه بكلام العرب لقوم يعلمون ألفاظه ، ويحققون أنها لم يخرج شيء منها عن كلام العرب، وكأن الآية رادة على من زعم أن في كتاب الله ما ليس في كلام العرب ... وبين أنه ليس في القرآن إلا ما هو من كلام العرب ، إما على أصل لغتها وإما ما عربته من لغة غيرها ، ثم ذُكر في القرآن ، وهو معرَّب مستعمل "[1] .

و في موضع آخر من نفس السورة عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ...﴾ [2] ، قال ابن عطية - رحمه الله تعالى - : " الأعجمي هو الذي لا يفصح عربيا كان أو غير عربي . والعجمي : الذي ليس من العرب ، فصيحا كان أو غير فصيح . وهذه الآية نزلت بسبب تخليط كان من قريش في أقوالهم من أجل الحروف التي وقعت في القرآن ، وهي مما عُرِّب من كلام العجم ، كالسجين والإستبرق ونحوه ، فقال عزَّ وجلَّ : ﴿ ولو جعلنا هذا القرآن أعجمياً ﴾ لا يبين ، لقالوا واعترضوا : (لولا بينت آياته) "[3] .

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴾ [4] ، نقل ابن عطية تفسير مجاهد- رحمه الله- في كلمة (القسطاس) وأنها تعني العدل ، وهي لغة رومية [5] .

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية ١٣/ ٧٨ .

(٢) سورة فصلت ، الآية : ٤٤ .

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ١٣/ ١٢٤- ١٢٥ .

(٤) سورة الإسراء ، الآية : ٣٥ .

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية ٩/ ٨١ .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ [1] : "قال بعض المفسرين : هي لفظة أعجمية عربت، وأصلها إستبره. و قال بعضهم : هو الفعل العربي سمي به، فهو إستبرق، من البريق، فعبر حين سمي به بقطع الألف. ويقوي هذا القول أن ابن محيصن، قرأ (من سندس و إستبرق)، فجاء به موصول الهمزة حيث وقع، ولا يجره بل يفتح القاف " [2] .

٣ – الإمام ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) :

يرى الإمام ابن الجوزي - رحمه الله- رأي القائلين بوجود المعرَّب في القرآن الكريم ، ويوافق أبا عبيد القاسم بن سلام في ذلك . وهذا ما عبَّر عنه صراحة عند تفسير قوله تعالى : (قرآناً عربياً) في أول سورة يوسف - عليه السلام - حيث قال: " اختلف الناس هل في القرآن شيء بغير العربية أم لا ؟ فمذهب أصحابنا أنه ليس فيه شيء بغير العربية ، وقال أبو عبيدة : من زعم أن في القرآن لساناً سوى العربية فقد أعظم على الله القول ، واحتج بقوله :﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [3] ، وروى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة أن فيه من غير لسان العرب ، مثل :(سجيل) و(مشكاة) و (اليم) و(الطور) و (أباريق) و (الإستبرق) وغير ذلك . وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي [4] قال : قال أبو عبيد : " وهؤلاء أعلم من أبي عبيدة، ولكنهم ذهبوا إلى مذهب ، وذهب هو

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ٣١ .

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ٩/ ٣٠٢- ٣٠٣ .

(٣) سورة الزخرف ، الآية : ٣ .

(٤) أبو منصور اللغوي : هو أبو منصور الثعالبي عبد الملك بن محمد الثعالبي صاحب كتاب فقه اللغة و سر العربية ، و هو من شيوخ ابن الجوزي . سير أعلام النبلاء ١٧ / ٤٣٧ - ٤٣٨ .

إلى غيره ، وكلاهما مصيب إن شاء الله ، وذلك أن هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل ، فقال: أولئك على الأصل ، ثم لفظت به العرب بألسنتها فعربته فصار عربيا بتعريبها إياه ، فهي عربية في هذه الحالة أعجمية الأصل ، فهذا القول يصدق الفريقين معاً " (١) .

وقد كرر الإمام ابن الجوزي موقفه السابق في العديد من المناسبات في تفسيره ، ومن ذلك ما أورده في تفسير قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (٢) . قال ابن الجوزي : " فأما (السندس) و(الإستبرق) ، فقال ابن قتيبة : السندس : رقيق الديباج، والإستبرق ثخينه. قرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: السندس: رقيق الديباج ، لم يختلف أهل اللغة في أنه معرَّب... والإستبرق : غليظ الديباج ، فارسي معرَّب ، وأصله : إسْتَفْرَه ، وقال ابن دريد : إسترْوَه . ونقل من العجمة إلى العربية ، فلو حُقِّرَ(إستبرق) أو كُسِّرَ لكان في التحقير (أبيرق) ، وفي التكسير (أبارق) بحذف السين و التاء جميعاً " (٣) .

ونقل ابن الجوزي تفسير ابن عباس لكلمة (سجيل) الواردة في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ

(١) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٤/ ١٧٨ ، وفنون الأفنان في عيون علوم القرآن ، ص : ٣٤٣- ٣٤٤ .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ٣٢ .

(٣) زاد المسير ٥/١٣٨- ١٣٩ .

مَّنضُودٍ ﴾ [1] ، فقال: "وفي السجيل سبعة أقوال ، أحدها : أنها بالفارسية : سَنْك وكل ، السنك : الحجر، والكِل : الطين . هذا قول ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير " [2] .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾[3] ، قال : " قال مقاتل : كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسيناء ، بلغة النبط " [4]

وقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ [5] ، قال : " والأباريق : آنية لها عرى وخراطيم . وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال : الإبريق فارسي معرَّب ، وترجمته من الفارسية أحد شيئين: إما أن يكون طريق الماء ، أو صب الماء على هينة " [6] .

٤ - المفسر أبو حيَّان الأندلسي (ت ٧٥٤ هـ):

إذا تتبعنا أقوال المفسر أبي حيان ، وجدناه يؤيد الرأي القائل بوجود المعرَّب في القرآن الكريم وهذا ما سنوضحه من خلال ما يأتي :

ساق أبو حيَّان في كتابه (ارتشاف الضَّرب من لسان العرب) فصلاً عن الأسماء الأعجمية في لغة العرب فقال : " صنَّف أبو منصور الجواليقي فيها كتاباً حسناً، ودلائل العجمة مذكورة في باب ما لا ينصرف ، والأسماء الأعجمية على

---

(١) سورة هود ، الآية : ٨٢ .

(٢) زاد المسير ٤/ ١٤٤ .

(٣) سورة التين ، الآية : ٢ .

(٤) زاد المسير ٩/ ١٧٠ .

(٥) سورة الواقعة ، الآية : ١٧- ١٨ .

(٦) زاد المسير ٩/ ١٣٦ .

ثلاثة أقسام: قسم غيرته العرب وألحقته بكلامها ، فحكم أبنيته في اعتبار الأصلي والزائد والوزن حكم أبنية الأسماء العربية الوضع ، نحو : درهم وبهرج .

وقسم غيرته، ولم تلحقه بأبنية كلامها ، ولا يعتبر فيه ما يعتبر في القسم الذي قبله نحو : آجر ، و إبرَيسم .

وقسم تركوه على حاله غير مغيَّر ، فما لم يلحقوه بأبنية كلامها لم يعد منها ، وما ألحق عدَّ منها ، مثال الأول : خراسان ، لا يثبت به فعالان . ومثال الثاني : خرَّم ، ألحق بِسُلَّم ، وكُركُم ألحق بُقمُقم " [1].

وعند تفسير قوله تعالى :﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [2] ، اعترض على طعن المبرد وابن قتيبة والزجاج وأبي علي الفارسي والنحاس و الزمخشري، لقراءة (ليكة) ، حيث قالوا : إن تلك القراءة لا تصح ، و وهَّموا القرَّاء لأن مادة (ل ي ك) لم يوجد فيها تركيب، فهي مادة مهملة. يقول أبو حيان بعد ذلك :" وأما كون هذه المادة مفقودة في لسان العرب ، فإن صحَّ ذلك كانت الكلمة أعجمية ، ومواد كلام العجم مخالفة في كثير مواد كلام العرب، فيكون قد اجتمع على منع صرفها : العلمية والعجمة والتأنيث " [3] .

وعند تفسير قوله تعالى:﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [4] ، قال : " والقسيس : اسم أعجمي عُرِّب " [5] .

---

(١) ارتشاف الضَّرب من لسان العرب ،لأبي حيان الأندلسي ١/ ١٤٦ .

(٢) سورة الشعراء ، الآية : ١٧٦ .

(٣) البحر المحيط ٧/ ٣٨.

(٤) سورة المائدة ، الآية : ٨٢.

(٥) البحر المحيط ٤/ ٣ .

و عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾[1] ، قال : " وزعم الكسائي والفراء أنها لغة حورانية وقعت إلى أهل الحجاز، فتكلموا بها، ومعناها: تعال . وقاله عكرمة. وقال أبو زيد: هي عبرانية هيتلخ ،أي: تعال، فأعربه القرآن. وقال ابن عباس والحسن: بالسريانية.وقال السدى: بالقبطية: هلمَّ لك وقال مجاهد وغيره: عربته...تدعوه بها إلى نفسها، وهي كلمة حث وإقبال". ثم قال أبو حيان معلقاً على ما سبق من أقوال في أصل هذه الكلمة : " ولا يبعد اتفاق اللغات في لفظ، فقد وجد ذلك في كلام العرب مع لغات غيرهم "[2] . و هذا لا يلغي قوله بوجود المعرب في القرآن الكريم ، وأقصى ما يدل عليه أن من الألفاظ ما هو من قبيل المشترك بين اللغات .

وقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[3]: " وقرأ عكرمة(ملكوت) بالثاء المثلثة، وقال : ملكوثا ، باليونانية أو القبطية "[4] .

٥ - ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) :

لقد تتبعت أقواله في موضوع المعرَّب ، فلم أجد له قولاً صريحاً وفاصلاً في هذا الموضوع ، ولكن سياقه للألفاظ المعرَّبة بصورة متكررة في تفسيره دون اعتراض منه عليها- وهو من أكبر المفسرين المحققين - يدل على تأييده لوجود المعرَّب في القرآن الكريم ، فقد ساق في مقدمة تفسيره كلام الإمام القرطبي في

(١) سورة يوسف ، الآية : ٢٣ .

(٢) البحر المحيط ٥/ ٢٩٣.

(٣) سورة الأنعام ، الآية : ٧٥ .

(٤) البحر المحيط ١٦٥/٤.

مسألة وجود المعرب في القرآن الكريم والذي أيد فيه رأي الإمام الطبري فقال : " قال القرطبي : أجمعوا على أنه ليس في القرآن شيء من التراكيب الأعجمية ، وأجمعوا أن فيه أعلاماً من الأعجمية كإبراهيم ونوح ولوط ، واختلفوا هل فيه شيء من غير ذلك بالأعجمية ؟ فأنكر ذلك الباقلاني والطبري ، وقالا : ما وقع فيه مما يوافق الأعجمية فهو من باب ما توافقت فيه اللغات " [1] .

ثم يذكر ابن كثير في تفسيره العديد من الروايات التي تذكر الألفاظ المعربة في القرآن الكريم ، وسأذكر بعضها فيما يأتي :

* عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ...﴾ [2]، قال ابن كثير: " عن ابن عباس وأبي العالية ومجاهد وعكرمة وأبي مالك وسعيد بن جبير والشعبي والحسن : الجبت : الشيطان، زاد ابن عباس: بالحبشية... وقال العلامة أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري في كتابه (الصحاح): الجبت : كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك. وفي الحديث: (الطيرة والعيافة والطَّرق من الجبت) ، قال: وهذا ليس من محض العربية لاجتماع الجيم والتاء في كلمة واحدة من غير حرف ذولقي " [3] .

* و عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴾ [4] ، قال : " قال سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : (طوبى لهم) ، قال : هي أرض الجنة ، بالحبشية " [5] .

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٩ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٥١ .

(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ١٠١- ١٠٢ .

(٤) سورة الرعد ، الآية : ٢٩ .

(٥) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٣٩ .

* و عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ [1] ، أورد عدة روايات ، منها : ما نقله سفيان الثوري وشعبة ، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب : (قد جعل ربك تحتك سريا) ، قال : الجدول . وكذا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : السري : النهر . وقال مجاهد : هو النهر بالسريانية ، وقال سعيد بن جبير: السري : النهر الصغير، بالنبطية . وقال الضحاك : هو النهر الصغير، بالسريانية " [2] .

* و عند تفسير قوله تعالى : ﴿ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴾ [3] ، قال : " قال وهب بن منبه : هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . وقال قتادة : هم القراء . وقال ابن جريج ، عن ابن عباس : السفرة بالنبطية : القراء " [4] .

* و عند تفسير قوله تعالى : ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [5] ، قال : " وأما السجيل، فأخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب : الشديد الصلب . قال : وذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية ، جعلتهما العرب كلمة واحدة ، وإنما هو سنج وجل . يعني بالسنج : الحجر، والجل : الطين . يقول : الحجارة من هذين الجنسين : الحجر والطين " [6] .

---

(١) سورة مريم ، الآية : ٢٤ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ١٤ .

(٣) سورة عبس ، الآية : ١٥ .

(٤) تفسير ابن كثير ٦/ ٣٤٤ .

(٥) سورة الفيل ، الآية : ٤ .

(٦) تفسير ابن كثير ٦/ ٤٨٠ .

٦- البيضاوي (ت ٧٩١ هـ):

عبَّر الإمام البيضاوي - رحمه الله تعالى - عن رأيه في وجود المعرب في القرآن الكريم عندما وقف على تفسير قوله تعالى : ﴿ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴾[1] ، فقال : " قوله تعالى : (بالقسطاس المستقيم) : بالميزان السويِّ وهو روميٌّ عُرِّب ، ولا يقدح ذلك في عربية القرآن ، لأن العجمي إذا استعملته العرب وأجرته مجرى كلامهم في الإعراب والتعريف و التنكير ونحوها ، صار عربياً "[2] .

و عند تفسير قوله تعالى : ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾[3] ، قال : (من سجيل) : من طين متحجر ، مُعرَّب سنك وكل "[4] .

٧ - الإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) :

يعتبر الإمام السيوطي- رحمه الله- من أكثر العلماء المؤيدين لوجود المعرَّب في القرآن الكريم ، و ليس أدل على ذلك من كتابه الذي صنفه في الألفاظ المعربة في القرآن ، والذي عنون له بـ (المهذَّب فيما وقع في القرآن من المعرب) فهذا الكتاب جمع فيه الألفاظ التي قيل بتعريبها، و حصرها في ستة وعشرين و مائة كلمة، والملاحظ أن السيوطي قد توسَّع في عدِّ تلك الألفاظ المعربة ، حيث يرى كثير من العلماء أن بعض تلك الألفاظ التي ادعى السيوطي عجمتها هي ألفاظ عربية الأصل، أومن الألفاظ المشتركة بين اللغات خاصَّة السامية منها.

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٣٥ .

(٢) تفسير البيضاوي ١/ ٥٨٤- ٥٨٦ .

(٣) سورة الفيل ، الآية : ٤ .

(٤) تفسير البيضاوي ٢/ ٥٧٦ .

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن نذكر كتاباً آخر للسيوطي أيَّد فيه فكرته السابقة في وجود المعرَّب قي القرآن ، وهو كتاب (الإتقان في علوم القرآن) والذي تحدَّث فيه عن المعرب في القرآن تحت عنوان (فيما وقع بغير لغة العرب) .

وهناك كتاب ثالث تحدَّث فيه باستفاضة عن موضوع الألفاظ المعربة التي دخلت اللغة العربية ، وهو كتاب (المزهر في علوم اللغة وأنواعها) .

وأما رأي السيوطي في موضوع الألفاظ المعربة في القرآن ، فيتلخص في وجود كثير من اللغات فيه ، فهو يرى أن في القرآن من كل لسان . وقد وضح السيوطي في كتابه المهذب رأيه حيث قال : " وأقوى ما رأيته - وهو اختياري - ما أخرجه ابن جرير، قال: أنبأنا ابن حميد ، أنبأنا يعقوب القمي ، عن جعفر، عن ابن المغيرة ، عن سعيد بن جبير قال : قالت قريش : لولا أنزل هذا القرآن أعجمياً وعربياً ! فأنزل الله : ﴿ لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَاَعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾ [1] ، وأنزل الله بعد هذه الآية القرآن بكل لسان ، فيه : ﴿ حجارة من سجيل﴾ ، فارسية . وقال : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ،أنبأنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، قال : في القرآن من كل لسان " [2] .

ونقل الثعالبي عن بعضهم قال : " ليس لغة في الدنيا إلا وهي في القرآن " [3] .

ثم يبين السيوطي الحكمة من وجود تلك اللغات الكثيرة في القرآن فيقول : " فهذه إشارة إلى حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن ، أنه حوى علوم الأولين

---

(١) سورة فصلت ، الآية : ٤٤ .

(٢) مقدمة تفسير الطبري ١ / ٨ .

(٣) انظر المهذب للسيوطي ، : ص٦١ .

والآخرين، ونبأ كل شيء. فلا بدَّ أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن لتتم إحاطته بكل شيء ، فاختير له من كل لغة أعذبها ، وأخفها ، وأكثرها استعمالاً للعرب " . بل إن السيوطي ذهب في تأييده لوجود المعرب في القرآن إلى أبعد من ذلك فهو يستأنس برأي ابن النقيب الذي يرى في وجود المعرب في القرآن وجها من وجوه خصائص القرآن الكريم. يقول السيوطي : " ثم رأيت ابن النقيب صَّرح بذلك ، فقال في تفسيره: "من خصائص القرآن على سائر كتب الله المنزلة أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم ، لم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم . والقرآن احتوى على جميع لغات العرب، وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير " . ثم يقول السيوطي معلقاً على ما سبق : " قلت : وأيضا فالنبي صلى الله عليه وسلم مرسل إلى كل أمة . وقد قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ [1] ، فلا بدَّ وأن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم ، وإن كان أصله بلغة قومه هو" [2] .

ويذكر السيوطي لوجود المعرب في القرآن فائدة أخرى لما تعرض للفظة (إستبرق) فيما نقله عن الجويني أنه إن قيل فيها إنها ليست بعربية ، و غير العربي من الألفاظ دون العربي في الفصاحة و البلاغة ، فالجواب على ذلك أنه لا يمكن لفصيح أن يأتي بمقابله إلا أن يأتي بمتعدد من الألفاظ ، لأن العربي لا يجد لفظاً واحداً يدل عليه، لأن الثياب من الحرير عرفها العرب من الفرس، ولم يكن لهم بها عهد، ولا وضع في اللغة العربية للديباج الثخين اسم. وإنما عرَّبوا ما سمعوا من

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٤ .

(٢) المهذَّب للسيوطي ، ص : ٦٢ .

العجم، واستغنوا به عن الوضع لقلة وجوده عندهم، وندرة تلفظهم به. وأما أن ذكره بلفظين فأكثر، فإنه يكون قد أخلَّ بالبلاغة، لأن ذكر لفظين لمعنى يمكن ذكره بلفظ تطويل، فعلم بهذا أن لفظ (إستبرق) يجب على كل فصيح أن يتكلم به في موضعه ولا يجد ما يقوم مقامه. وأي فصاحة أبلغ من ألا يوجد غيره مثله ؟! [1] .

و قد كانت عناية السيوطي بالمعرب بالغة ، و يعدّ من أشهر المفسرين الذين صنَّفوا في موضوع المعرَّب في القرآن الكريم و أول من ألف فيه ، وهذا ما يظهر لنا خلال مؤلفه الذي صنفه في هذا الباب وسماه : (المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب) الذي لخصه بعد ذلك في كتابه (المتوكلي) ، وأفرد باباً خاصاً و واسعاً في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) للألفاظ التي وقعت في القرآن بغير لغة العرب ، ورتبها على حروف المعجم .

و قد أورد السيوطي - رحمه الله تعالى - في كتابه (المهذَّب)، مجموعة من الكلمات نسبها برواياتها إلى لغات غير عربية كالحبشية و الآرامية و النبطية والفارسية و السريانية و العبرية و غيرها ، وعندما تتبعت هذه الكلمات وقمت بعدِّها وجدتها ستة وعشرين و مائة كلمة ، مع الإشارة إلى أن الكثير من تلك الكلمات، يمكن إرجاعها إلى الأصل المشترك لتلك الكلمات كاللغات السامية، أو أن بعضها لم تثبت عجمتها ، بل هي من الألفاظ العربية الأصيلة .

و الباحث المتفحص لهذه الألفاظ المعربة التي نقلها السيوطي عمن تكلم فيها يستطيع أن يسجل الملاحظات الآتية :

١- عدم مراعاة الدقة اللازمة في إسناد تلك الألفاظ إلى لغاتها الأصيلة ، فكثيراً ما نجد نسبة لفظ معين إلى لغة معينة، ولكن عند البحث عنها في قاموس

(١) المهذب للسيوطي ، ص : ٦٣- ٦٤ .

تلك اللغة لا يعثر عليها ، وسأذكر مثالين على ذلك نبه الدكتور محمد السيد بلاسي أنه بحث عنهما في قواميس تلك اللغات إلا أنه لم يجدها [1] .

* نقل السيوطي عن ابن أبي شيبة عن ابن عباس في قوله تعالى: (هيت لك) أنها بمعنى هلم لك بالنبطية . كما نقل عن ابن جرير عن الحسن : أنها كلمة سريانية يعني عليك [2] .

* و عندما ذكر كلمة (غساق) ، قال : " ذكر الجواليقي وغيره في قوله تعالى : (غساقا) ، قال : هو البارد المنتن ، بلسان الترك " [3]

و مثل هذه الأوهام نجدها عند كثير من علماء العربية الأقدمين ، وقد نجدهم معذورين إلى حد كبير لأن الدراسات الحديثة التي كشفت لنا عن أصول اللغات والتنقيب عن آثارها ، وكذلك علم الأصوات المقارن التي حددت لنا معاجم اللغات كلها علوم حديثة لايزيد عمرها عن قرن أو قرنين . وهذه الحقيقة وضحها لنا أحد العلماء ، حيث قال : " ويلاحظ أن الفرق بين أحكام القدماء في نسبة الدخيل وأحكام المحدثين، يكمن فيما أتيح لهؤلاء المحدثين من بحوث مقارنة بين مختلف اللغات والفصائل، فهم يتتبعون الأصول اللغوية في نموها ، وفي انتقالها مع الفتوح والهجرات ، وتسلسل هذه الحركات التاريخية واللغوية، وهو ما لم يرعه القدماء في إصدار أحكامهم الصادقة أحيانا ، ولكنها الموجزة أيضا . فتتبع انتقال كلمة (الصراط) مثلا من اليونانية إلى العربية ، غير الآرامية ثم السريانية ، وغيرها

(١) ينظر : كتاب المعرب في القرآن الكريم ، د. محمد السيد علي بلاسي ، ص : ٣٢٣- ٣٢٤.

(٢) يراجع : المهذب للسيوطي ، ص : ١٥٦.

(٣) المهذب للسيوطي ، ص : ١١٨ .

من الكلمات كثير لم يتح لنا معرفته إلا بفضل علماء المقارنات السامية المحدثين ، وهو مالم تتبين خطوطه ومعالمه قبل النهضة العلمية الحديثة " [١] .

٢- اعتماد السيوطي أقوال من نقل عنهم في نسبة العجمة لكثير من الألفاظ لمجرد بلوغهم رواية في ذلك ، أو وجود مشابهة بين لفظ عربي وآخر من لغة أخرى ولو في الصورة والشكل . " ولا شك في أن السيوطي ومن رجع إليهم قد وفقوا في نسبة بعض الألفاظ إلى لغاتها لاسيما الحبشية والفارسية والرومية ، مثل : الجبت والطاغوت ومشكاة من الحبشية ، و زنجبيل و سرادق و سجين من الفارسية ، والصراط والقسطاس والقنطارمن الرومية ... إلخ وهو ما تؤكده الدراسات اللغوية المقارنة الحديثة ، بيد أنهم أخطأوا في القول بعجمة بعضها ، لأن الدلائل قد قامت على أن تلك الكلمات عربية صريحة ، ولا علاقة لها بمزاعم السيوطي . من ذلك : (كوِّرت) و(غيض) و(أوّاه) و(أواب) و(رهوا) و(لينة) و(مناص) و(ناشئة) و(هُون) و(يحور) و(رمزا) و(إصري) و(يصدون) ... إلخ [٢] .

ولتوضيح ما سبق ، أسوق هذه الأمثلة ليتبين الباحث ذلك معتمدا في تأصيل الألفاظ المذكورة على المراجع المتخصصة في هذا الباب ، خاصة أقوال علماء اللغة فقد ذكر السيوطي - رحمه الله - كلمة (طفقا) الواردة في قوله تعالى : ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ [٣] ، ذكرها السيوطي في عداد الألفاظ الرومية حيث قال : "طفقا : قصدا بالرومية " [٤] .

---

(١) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، د . عبد الصبور شاهين ، ص :٣٢٣- ٣٢٤ .

(٢) التعريب في القديم والحديث ، ص : ٣٦٩- ٣٧٠ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ٢٢ .

(٤) المهذب للسيوطي ، ص : ١١٢ .

وعندما نراجع معاجمنا اللغوية نجد أن أصحاب الشأن يؤكدون عروبتها ، فابن منظور يقول عنها : " طفق طفقا : لزم . وطفق يفعل كذا يطفق طفقا : جعل يفعل وأخذ . وفي التنزيل : ﴿ وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ﴾ ، قال الليث : طفق بمعنى : علق يفعل كذا ، وهو يجمع ظل وبات . قال: ولغة رديئة طَفَقَ.. قال أبو سعيد : الأعراب يقولون : طفق فلان بما أراد ، أي ظفر ، و أطفقه الله به إطفاقا إذا أظفره الله به ، ولئن أطفقني الله بفلان لأفعلنَّ به " [1] .

ويقول ابن قتيبة في تفسيره: " وطفقا: أي جعلا وأقبلا . يقال : طفقت أفعل كذا"[2]. فالمرجعان السابقان يؤكدان أن هذه الكلمة عربية أصيلة ، حيث توفرت مادتها في اللسان العربي بجميع تصاريفها ، وهذا دليل دامغ على أصالتها في اللغة العربية .

وذكر السيوطي كلمة (غساق) في عداد الألفاظ التركية حيث قال عنها : " هو البارد المنتن ، بلسان الترك " [3] .

ولكن العلماء يؤكدون أن هذه الكلمة عربية أصيلة ، يقول ابن منظور : " غسقت عينه تغسق غسقا و غسقانا: دمعت ، وقيل : انصبت ، وقيل : أظلمت وغسق الليل : ظلمته ، وقيل : أول ظلمته ، وقيل : غسقه إذا غلب الشفق . وقال الفراء في قوله تعالى : ﴿ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾[4] ، وهو أول ظلمته . وقال الأخفش : غسق الليل : ظلمته ... ويقول ابن قتيبة : الغاسق : القمر. سمي به لأنه

(١) لسان العرب لابن منظور مادة (طفق) .

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ص : ١٦٦ .

(٣) المهذب للسيوطي ، ص : ١١٨ .

(٤) سورة الإسراء ، الآية : ٧٨ .

يكسف فيغسق، أي يذهب ضوءه ويسود ويظلم . غسق يغسق غسوقاً : إذا أظلم ، و الغساق كالغاسق ... " [1] .

فهذه التصريفات توضح لنا أن هذه الكلمة عربية أصيلة . بالإضافة إلى ذلك ، قام الدكتور بلاسي بمراجعة المعاجم التركية فلم يعثر على مادة هذه الكلمة [2] .

وهذا ما نجده كذلك منقولا عند الإمام السيوطي عندما اعتبر كلمة (وَزَر) التي وردت في قوله تعالى : ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾[3] ، لفظة نبطية ، حيث ذكر في : وزر : هو الجبل والملجأ، بالنبطية [4].

وعندما راجعت المعاجم اللغوية العربية ، وجدت ابن منظور يقول في اللسان : "الوزر : الملجأ، وأصل الوزر الجبل المنيع ، وكل معقل وزر . وقال أبو إسحاق : الوزر في كلام العرب : الجبل الذي يلجأ إليه ، هذا أصله . وكل ما التجأت إليه وتحصنت به فهو وزر " [5] .

وفي معجم غريب القرآن : " قال ابن عباس : لا وزر : لا حصن " [6] .

وبعد هذا الاستعراض السريع لمادة هذه الكلمة ، لا يبقى مجال للشك في أنها عربية أصيلة .

هذه أهم الملاحظات التي سجلتها على منهج السيوطي في المعرَّب .

---

(١) لسان العرب ، مادة (غسق) .

(٢) المعرب في القرآن الكريم ، د. محمد السيد بلاسي ، ص :٢٦٣- ٢٦٦ .

(٣) سورة القيامة ، الآية : ١١ .

(٤) المهذب للسيوطي ، ص : ١٥٩ .

(٥) لسان العرب ، مادة (وزر)

(٦) معجم غريب القرآن ، محمد فؤاد عبد الباقي ، ص : ٢٢٣ .

٨ - الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) :

يعتبر الإمام الألوسي واحداً من أئمة التفسير المؤيدين لوجود المعرب في القرآن الكريم ، وقد فصل الألوسي أقوال العلماء في هذه المسألة تفصيلاً شاملاً عندما فسَّر قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [(١)] ، و عبر عن ذلك التأييد لوجود المعرب في القرآن في العديد من المناسبات أذكر منها ما يأتي :

* عند تفسير الآية السابقة في أول سورة يوسف ، قال : " ولا يخفى على الخبير بمزايا الكلام ، أن في الكلام العربي من لطائف المعاني ، ودقائق الأسرار ما لا يستقل بأدائه لسان ، ويليه في ذلك الكلام الفارسي ، فإن كان هذا مدار الفضل ، فلا ينبغي أن يتنازع اثنان في أفضلية العربي ، ثم الفارسي مما وصل إلينا من اللغات . وإن كان شيئاً آخر ، فالظاهر وجوده في العربي الذي اختار سبحانه إنزال القرآن به ، لا غير " [(٢)] .

* و أكد هذا الموقف مرة أخرى عند تفسير قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ [(٣)] ، فقال في تفسير كلمة (مشكاة) : " هي الكوة غير النافذة كما يرى الجمهور ، أو الحديدة أو الرصاصة التي تكون فيها الفتيلة في جوف الزجاجة ، أو الحديدة التي يعلق بها القنديل كما يرى مجاهد ، وعن ابن عطية أنه أصح الأقوال ، وعلى جميعها : هو لفظ حبشي مُعرَّب كما قال ابن قتيبة والكلبي و غيرهما " [(٤)] .

---

(١) سورة يوسف ، الآية : ٢ .

(٢) تفسير الألوسي ١٢/ ١٢١ .

(٣) سورة النور ، الآية : ٣٥ .

(٤) تفسير الألوسي ١٨/ ١٦٦ .

و بهذا ، يظهر أن معظم المفسرين ذهبوا إلى القول بوقوع المعرب في القرآن الكريم ، و ذلك بناء على ظاهرة التأثير و التأثر بين اللغات ، و ذلك لا يخرج القرآن الكريم عن عربيته ، لأن العرب عربت هذه الكلمات و أجرتها على لسانها فصارت عربية .

* * *

نتائج وتوصيات :

أرى من المفيد ، في ختام هذا البحث ، أن أذكر بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث ، أهمها ما يأتي :

١- نزول القرآن باللغة العربية خير ضمان لبقائها في أعلى درجات الفصاحة لأن القرآن أعجز فصحاء العرب.

٢- إن القرآن الكريم نزل بلسان قريش لاشتماله على أفصح لهجات العرب ومحاسن كلامهم .

٣- إن اللغة العربية شأنها شأن بقية اللغات العالمية تبادلت مع غيرها مفردات محدودة تأثراً بظاهرة الإقراض والاقتراض، ولكنها تميزت بالإقراض أكثر لغناها في المفردات وسعتها .

٤- دراسة المعرب في القرآن الكريم تدلنا بشكل واضح على مدى تأثر العرب في الجانب اللغوي بغيرهم من الشعوب المجاورة لهم قبل الإسلام .

٥- وجود المعرب في القرآن الكريم لا ينقص من بلاغة القرآن وإعجازه ، لأن العرب تداولوا تلك الألفاظ وأخضعوها لمقاييس كلامهم قبل نزول القرآن بها ، وما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم .

٦- إن اشتمال القرآن على لغات أخرى غير العربية يدل دلالة واضحة على عالمية القرآن لاشتماله على لغات كثيرة لأمم عديدة بخلاف الكتب السماوية السابقة التي خصت بأقوامها.

٧- إن معظم العلماء من اللغويين قالوا بوجود المعرب في القرآن الكريم انطلاقاً من تعمقهم في اللغة وتطورها بخلاف الفقهاء الذين رفض

معظمهم فكرة وجود المعرب في القرآن الكريم اعتماداً على ما فهموه من قوله تعالى: ﴿ إنا أنزلناه قرآناً عربياً ...﴾ .

٨- إن المفسرين الذين رفضوا وجود المعرب في القرآن الكريم اعتمدوا في نظرتهم على تنزيه القرآن ولغته التي تعتبر من أوسع اللغات وأقدمها ، و أن ما قيل إنه معرب إنما هو من قبيل المشترك بين اللغات ، إلا بعض أسماء الأعلام، فإنه لا خلاف بين العلماء في كونها أعجمية .

٩- إن معظم المفسرين ذهبوا إلى القول بوجود المعرب في القرآن الكريم انطلاقا من كون تلك المعربات دخلت إلى لغة العرب وعربت قبل نزول القرآن الكريم بها، ولا يتناقض ذلك مع قوله تعالى: ﴿ إنا أنزلناه قرآناً عربياً ... ﴾ .

١٠- إن وجود المعرب في القرآن الكريم دليل دامغ لدفع المسلمين إلى تعلم أكبر قدر ممكن من اللغات العالمية وذلك لأهميتها في الدعوة إلى الله ونشر دينه .

و لعل أهم التوصيات التي يمكن أن يصار إليها في مجال التعريب ما يأتي :

١- دعوى التعريب لا تعتمد إلا بمقاييس وأدلة واضحة مثل الاشتقاق ، أو خروج الكلمة عن خصائص اللغة العربية .

٢- عدم اللجوء إلى التعريب إلا عند الضرورة ، وقد أكّد قرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة على ذلك حيث نص على ما يأتي :

" يجيز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم "[1] .

٣- اللجوء ، عند الضرورة ، إلى ترجمة الكلمة الأعجمية ترجمة دقيقة تقوم مقام التعريب ، ويتم ذلك بتحري الناقل العليم بأسرار العربية اللفظ العربي الأنسب لأداء مدلول اللفظ الأعجمي[2] .

٤- الكف عن استعمال اللفظ المعرب إذا كان له اسم في لغة العرب . وقد ذكر السيوطي في كتابه (المزهر) أمثلة لبعض الألفاظ المعربة مع وجود كلمات عربية استخدمها العرب في لسانهم قبل أن تعرب تلك الألفاظ ، مثل كلمة (المَعد) قبل أن تعرب كلمة (الباذنجان) و(السَّمْسَق و السِّجلاَّط) قبل أن تعرَّب كلمة (الياسمين)، وكلمة (العبهر) قبل أن تعرب كلمة (النرجس) ، وكلمة (القثد) قبل أن تعرب كلمة (الخيار) وكلمة (المشموم قبل أن تعرب كلمة (المسك) ...[3] .

٥- لزوم إنزال اللفظ المُعرَّب على أوزان اللغة العربية حتى يكون عربياً عند توفر الضرورة للتعريب ، كما فعل علماء اللغة في الألفاظ المُعرَّبة حيث أخضعوها لمبادئ الاشتقاق في بنيتها ، فقالوا في كلمة (زنديق) : زندقة وتزندق . وفي كلمة (سردق) : بيت مسردق . وفي كلمة (ديوان) دوَّن تدويناً . وفي كلمة (النيروز): نورز، ينورز ، وهكذا[4] .

---

(١) انظر المصطلحات العلمية في القديم و الحديث للأمير مصطفى الشهابي ، ص : ٦٣ .

(٢) انظر : دراسات في فقه اللغة ، د . صبحي الصالح ، ص : ٣٧٥ – ٣٧٦ .

(٣) المزهر للسيوطي ١/ ٢٨٣- ٢٦٤ .

(٤) الاشتقاق والتعريب ، عبد القادر المغربي ، ص : ٤١ .

مما سبق من تلك الضوابط و التوصيات تبقى اللغة العربية محافظة على مكانتها الرفيعة بين لغات البشر، تتأثر بغيرها وتؤثر فيها . وهذه الظاهرة مستمرة دائماً ، تمكن هذه اللغة العظيمة من استيعاب كل جديد ، فمفرداتها غنية ، وأساليبها مرنة وبلاغتها فريدة ، لذلك كانت لغة القرآن الكريم الذي تكفّل الله تعالى بحفظه إلى قيام الساعة ، وهذا كفيل بحفظ لغة القرآن الخالدة .

هذا ما وفقني الله لكتابته في هذا البحث المتواضع، و أسأل الله تعالى أن ينفع به ، والحمد لله أولا وآخراً . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

* * *

فهرس المصادر والمراجع :

١- **القرآن الكريم**

٢- **الإتقان في علوم القرآن** ، للسيوطي - مصطفى البابي الحلبي - ١٣٩٨هـ .

٣- **البرهان في علوم القرآن** للزركشي - ت. محمد أبو الفضل - مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة- ط ٢.

٤- **تاج اللغة وصحاح العربية** للجوهري - ت. أحمد عبد الغفور- دار الكتاب العربي- مصر.

٥- **التطور النحوي للغة العربية** ، للمستشرق برجشتراسر - إخراج و تعليق : د . رمضان عبد التواب - مطبعة المجد - ١٤٠٢ هـ .

٦- **التعريب في القديم والحديث مع معاجم للألفاظ المعربة** ، د. محمد حسن عبد العزيز - دار الفكر العربي - القاهرة .

٧- **تفسير الألوسي** ، المسمى (روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني) للعلامة محمود الألوسي - مكتبة دار التراث - د . ت .

٨- **تفسير ابن عطية** ،المسمى (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) — ت. عبدالله الأنصاري والسيد عبد العال السيد - ط١- ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧م.

٩- **تفسيرالقرآن العظيم** ، لابن كثير- دار مكتبة الهلال بيروت - ١٩٨٦م .

١٠- **تفسير البحر المحيط** ، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي - دار الفكر العربي- بيروت - ١٩٩٢م.

١١- **تفسير البيضاوي** ، المسمى (أنوار التنزيل و أسرار التأويل) للإمام عبد الله بن محمد البيضاوي - مصطفى البابي الحلبي - مصر- ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

١٢- **تفسيرابن الجوزي** ، المسمى (زاد المسير في علم التفسير) ، للإمام عبدالرحمن بن علي الجوزي - المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٤- هـ .

١٣- **تفسير الطبري** ، المسمى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، للإمام محمد ابن جرير الطبري - دار الفكر – بيروت- ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م

١٤- **تفسير غريب القرآن** لابن قتيبة . ت- السيد أحمد صقر - دار الكتب العلمية بيروت- ١٣٩٨هـ .

١٥- **تفسير القرطبي** ، المسمى (الجامع لأحكام القرآن) للإمام محمد بن أحمد القرطبي - دار الكتب المصرية - ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م .

١٦- **التفسير الكبير**، للإمام محمد بن عمر الرازي - دار إحياء التراث العربي- بيروت - ط٣ - ١٩٨٠ م.

١٧- **تفسير الزمخشري** ، المسمى (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمرالزمخشري - دار المعرفة - بيروت - د . ت .

١٨- **الخصائص** لابن جني - ت. د. محمد علي النجار - عالم الكتب - ط٣ - ١٤٠٣هـ.

١٩- **دراسات في فقه اللغة** - د. صبحي الصالح - منشورات المكتبة الأهلية- بيروت - ط١ - ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م.

٢٠- **ارتشاف الضَّرب من لسان العرب** ،لأبي حيَّان الأندلسي- ت. د.رجب عثمان محمد- مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر – القاهرة - ١٤١٨هـ /١٩٩٨٠م.

٢١- **الرسالة للشافعي** - ت . الشيخ أحمد محمد شاكر - ط مصطفى البابي الحلبي - ط١ - ١٣٥٨هـ - .

٢٢- **الساميون ولغاتهم** ، د. حسن ظاظا - دار المعارف - الإسكندرية - ١٩٧١م.

٢٣- **سير أعلام النبلاء** ، الذهبي – تـ . شعيب الأرناؤوط و آخرون – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط ٩ – ١٤١٣ هـ.

٢٤- **الاشتقاق والتعريب** - د. عبد القادر المغربي - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة – ط٢- ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م.

٢٥- **الصاحبي**، لابن فارس- ت. السيد أحمد صقر- ط عيسى البابي الحلبي - ١٩٧٧م .

٢٦- **فقه اللغة** ، علي عبد الواحد - دار نهضة مصر- د . ت .

٢٧- **فنون الأفنان في علوم القرآن** ، لابن الجوزي - ط . دار البيضاء .

٢٨- **القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث** ، د.عبد الصبور شاهين - مكتبة الخانجي - القاهرة - د . ت .

٢٩- **لسان العرب** ، لابن منظور- ت. عبد الله علي الكبير ورفاقه - دار المعارف - القاهرة - د . ت .

٣٠- **اللغة العربية كائن حي** ، جرجي زيدان - مراجعة : د. مراد كامل - دار الهلال.

٣١- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها** ، للسيوطي - ت. محمد أحمد جاد المولى وآخرين - دار الجيل - بيروت - د . ت .

٣٢- **المصطلحات العلمية في القديم والحديث** ، للأمير مصطفى الشهابي - معهد الدراسات العربية العالمية - ١٩٥٥م .

٣٣- **معجم غريب القرآن** ، محمد فؤاد عبد الباقي- عيسى البابي الحلبي - القاهرة - ط٢.

٣٤- **المعرَّب في القرآن الكريم** ، د. محمد السيد علي بلاسي - جمعية الدعوة الإسلامية العالمية - ليبيا - ط١ .

٣٥- **المعرب من كلام الأعجمي على حروف المعجم** للجواليقي - ت. أحمد محمد شاكر - دار الكتب المصرية - ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

٣٦- **المعرب والدخيل في اللغة العربية مع تحقيق الألفاظ الواردة في كتاب المعرب** للجواليقي عبد الرحيم السبحان .

٣٧- **المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب** للسيوطي - ت . د. التهامي الراجي الهاشمي - اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين دولة الإمارات والمغرب - مطبعة فضالة - المحمدية - المغرب .

المجلات :

١- **بعض اصطلاحات يونانية في اللغة العربية** ، جوزي بندلي - مجلة المجتمع - الكويت - مج ٣ .

٢- **دفاع عن كتاب الله تعالى قضية الكلمات الأعجمية في القرآن** ، د. عبد العال سالم مكرم - مجلة الوعي الإسلامي .

٣- **المفردات اللاتينية في اللغة العربية** ، جوزي بندلي - مجلة الهلال - ج ٣٦ .

* * *